.. كان خلقه القرآن صلى الله عليه وسلم

إبراهيم مصطفى

مجلسه مجلس حلم ، وحياء ، وصبر ، وأمانة ، لا ترفع عنده الأصوات ، ولا تنتهك فيه الحرم ، ولا تخشى فلتاته .

سئلت عائشة رضي الله عنها ، عن خلق الرسول ، ﷺ قالت : كان خلقه القرآن . فكان التطبيق العملي لمنهج السماء ، إنه لسان الصدق الناطق عن الحق .

الرسول ﷺ أسوة ، والأسوة تأتي فيما يمكن أن يصنعه المتأسي بالمتأسى به . إن صفاته الخلقية لا مجال لأحد أن يقول أتأسى بها ، لأنها هبة الله للإنسان .

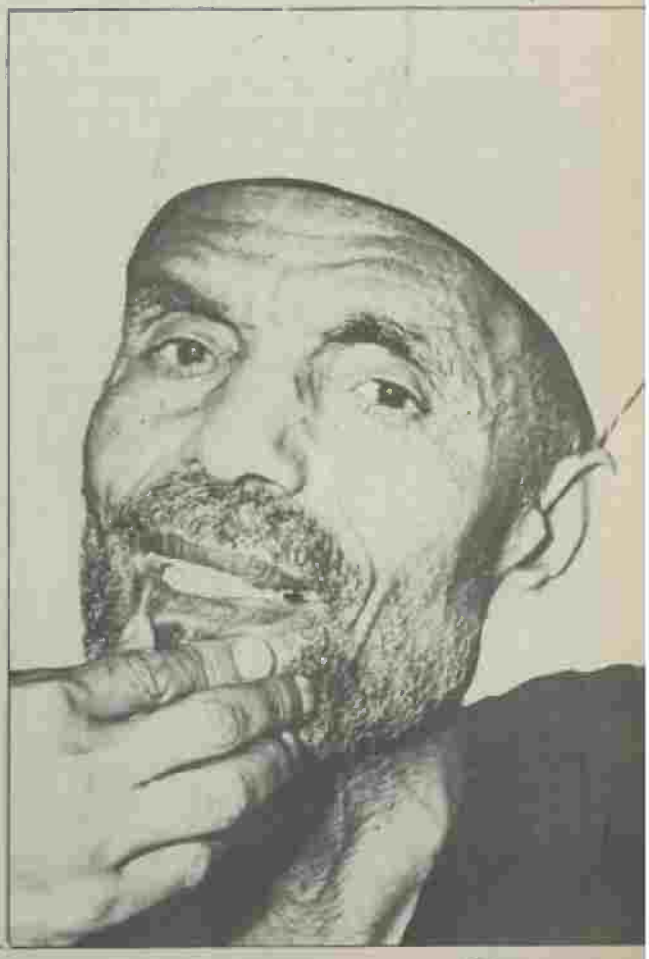

وفي هذا المجال يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي :

أن الصفات الخلقية للرسول ﷺ ، هي المدخل لإعطائنا الصورة ، حتى نقع التصورات كيف خلق .

إذن فالصفة الخلقية لا دخل لنا بالتأسي فيها . ولكن الأسوة الحقيقية ، هي ما يصدر عن هذه الذات وهي الصفات الخلقية والرسول ﷺ مهمته عن ربه البيان .

وفي سؤال الحسن بن علي خاله هند بن أبي هالة – ابن السيدة خديجة رضي الله عنها ، وكانت متزوجة قبل الرسول من أبي هالة – عن منطق رسول الله

قال هند : كان ﷺ متواصل الأحزان أي أنه كان يحزن للمهمة التي كان يقوم بها بضمير الحق في قوله سبحانه وتعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم » . حريا بأحد الصرفا عن الدعوة وهي دعوة متصلة في ذهنه وفكره ، وبتكذيبه يجب أن هؤلاء لا يؤمنون بها ، فهو يحزن فهو ولا يحزن لأمر يتعلق به هو .

ولذلك يجب أن نلفت جيدا إلى أن الحزن من رسول الله إنما يؤخذ على أنه ليس لأمر يتعلق بشيء بذاته ، ولكن يتعلق بشيء يمال الآخرين .

وهذا يدل على حرصه ﷺ . وكان طويل السكوت ، ثم يفتح الكلام ويختمه بافتتاحه ، أي لا يتكلم من طرف أنفه إنما كلامه ملأ فمه . وبعد ذلك يتكلم بجوامع الكلم – ومعنى جوامع الكلم : الكلمة الواحدة الموجزة تحمل المعاني الكثيرة لأن عنده الإعجاز ، يقول القول فصلا لا فضول فيه ولا تقصير . ولا زيادة فيه على المطلوب .

وكان ﷺ ، دمثا ليس بالخلق بأن إليه ولا يطمع إليه ، ويقاه ويأسى إليه . من يبتدئ إليه لا يلقه بوقاة ولا بذمه . لا يذمه بأي خصلة : وكان لا يذمه ؟ لأنه إذا مدح أي شيء ، فربما كان تعريضا بأن الطعام الآخر الذي لم يمدحه مكروه .

إذا أثنى ﷺ ، فكله كلها ، ولا يذم الأشياء على عادة الناس حتى يفهم ، وإذا تعجب من أمر ، صار يقلب كفيه وإذا تحدث اتصل بها – أي يضرب بإبهام اليمنى راحته اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ، لا يقهقه . فالله كان معظمه ﷺ .

وهذه الرحلة الإجمالية عن صفات الرسول يقول الإمام الشعراوي

على طريق السيدة العظمة للمصطفى ﷺ ، سأل الحسين إياه عليا ، وعلى هو من هو أداء وبيانا وعلما واستيعابا لصفات رسول الله – عن مدخل رسول الله ومخرجه ، ومجلسه وشكله ، وكل شيء يتعلق به ، فلم يدع من ذلك شيئا

فقال على كرم الله وجهه : كان دخوله ﷺ لنفسه مأذونا له في ذلك ، بمعنى أنه كان إذا دخل على قوم لا يستأذن . لماذا ؟

لأن عنده الإشراقيات ، وعنده نور يعرف أنه لا يدخل على إنسان ، وهو في حالة لا يحب أن يراه رسول الله وهو عليها

ما معنى الاستئذان ؟ معناه ألا أقتحم على أحد حجابه مثلا ، لأني ربما كان في وضع لا يحب هو أن أراه عليه ، ولكن رسول الله ، لاشراقياته ، يعرف أنه حين يدخل ، لا يكون من دخل عليه في حال يجب أن يستر عن رسول الله ، ولأن الرسول أول بالمؤمنين من أنفسهم

وكان ﷺ ، إذا أوى إلى منزله ، جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وهذا هو المعين ، الذي يتلقى منه التكليفات

وجزءا لأهله وجزءا خاصة نفسه ، وهذا الجزء الخاص بنفسه ، كان يتسع فيه ، ما يريد أن يقوله لعامة المسلمين عن طريق الخاصة الذين يتلقون منه ، لأنه ليس من المعقول أن عامة المسلمين ، كلهم يتجهون إلى بيت الرسول أو المكان الضيق الذي يذهب إليه يقول الرسول ، ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأيضا لحاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته

وهذا يعطينا الدرس على أن الذين تكون لهم أسباب إلى الحاكم ، أن يكونوا رسل خير وسفارة للناس الذين لا يستطيعون أن يأتوا إلى الوالي ، أو الحاكم ، ليسمعوا منه ، فإنه من نفع الحاكم حاجة من لا يستطيع إبلاغه بيت الله فدخيره يوم القيامة

وكان ﷺ ، يخرم لسانه إلا فيما ينفع الناس ، يؤلفهم ولا ينفرهم – ومعنى يخرم لسانه – أي لا يعبر عنده في الكلام ، لا يتكلم إلا في الموضوع الذي يعلم أنه يؤلف القوم ، ومعنى هو ألف القوم ، وكان يكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، لأن معنى كريم كل قوم ، هو الذي عند القوم راجحتهم ، في ذوات نفوسهم ، وفي ذات أيديهم الفضلة ، عادتهم إنسان خصاله الكريمة متعددة في الغير ، وما عنده من خير لله متعد إلى الغير ، فمثل هذا يؤثر أن يكون وال على هؤلاء

كان ﷺ يتفقد أصحابه ، أي أنه إذا غاب واحد سأل عنه ، أين هو ؟ ولماذا ؟ وهذا يعني

بالله امنت بالله امنت بالله امنت بالله امنت بالله امنت بالله

على حسن رعايته لأصحابه . وبكرم سؤال القاعد عن إنسان يرد عليه ثم انقطع . هذا يعطيه بعد يأس فى ذاته . وهذا كله نصائح أمر الدعوة أن يتقلد أصحابه دائما .

ليس له مكان مخصوص فى المجلس . كان يجلس ﷺ حيث ينتهى به المجلس . فيكون القدوة لئلا يكون هناك واحد يأخذ له مكانا خاصا . بحيث يحفظ له إن كان غائبا . أو يقوم لغيره إن أقبل عليه . يعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب أحد أن أحدا أكرم عليه منه .

تلك هى عدالة الرعاية . لا يفرد بحديثه . ولا بصره . ولا بأذنه . إن واحد دون الآخر .

ومن سأله حاجة . لم يرده إلا بها . أو ميسور من القول . قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا . وصاروا عنده فى الخلق سواء . مجلسه مجلس حلم . وحياء . وصبر . وأمانة . لا ترفع عنده الأصوات . ولا تؤبن فيه الحرم . ولا تثنى فلتاته . عنه أن واحدا قال كلمة لا تليق فيه . فلا يلتفت إليها الرسول ﷺ . بل تنسى كأنها لم تحدث . فى كان موجودا . قام من - مجلس الرسول - وكأنها لم تحدث .

إن الرسول ﷺ كان دائم البشر لين الجانب . سهل الخلق . برئ نفسه من ثلاث : من الرياء . ومن الاحتكار . وكما لا يحبه . وبرئ الناس من ثلاث : لا يذم أحدا ولا يعيره . ولا يطلب عورته . ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رءوسهم الطير . فإذا سكت تكلموا . هذا أدبهم مع حديثه ﷺ . إذا تكلم عنده إنسان لا يقطعون عليه كلامه . حتى يفرغ يعجب مما يحبون منه . ويضحك مما يضحكون منه . ويصبر للغريب على الجفوة .

كان ﷺ لا يطلب الثناء إلا من مكافئ . أى الذين يتطوعون بالمديح لا يقبل منهم - إنها كلمة ثناء تقال ردا على موقف يجزيك خيرا . لأنه صنع هذا ويفعله . لا يقبل التطوع بالثناء ويقبله من مكافئ على صنيع قدمه رسول الله ﷺ وكان لا يقطع على أحد حديثه . حتى يقطعه هو بانتهاء أو بقيام .

وعن سكوته ﷺ . جمع له السكوت فى أربع . الحلم والحزم والتدبير والتفكر .

أما التدبير . ففى تسويته النظر والاستماع بين جلسائه .

والتفكر . فيما يبقى . وفيما يفنى .

وجمع له الحلم فى الصبر فكان لا يغضبه شىء يستفزه فى ذاته .

وجمع له الحزم فى أربع . أخذه بالحسن ليقتدى به . وتركه القبيح لينهى عنه . واجتهاد الرأى فيما أصلح الأمة . والقيام لأمته بما جمع لهم خير الدنيا والآخرة ﷺ

حديث شريف

الجهاد فى سبيل الله

جهز الجاهد فى سبيل الله وسواء أخذ فى غيابه فقد جاهد بالحاجات :

يقول الرسول ﷺ

من جهز غازيا فقد غزا . ومن خلف غازيا فى أهله فقد غزا .

وعن أنس رضى الله عنه قال : إن فتى من قبيلة أسلم قال يا رسول الله . إنى أريد الغزو وليس معى ما أتجهز به .

فقال الرسول : ايت فلانا فإنه قد كان تجهز فمرض

فأتاه فقال . إن رسول الله ﷺ . يقرئك السلام ويقول :

اعطنى الذى تجهزت به .

قال : يا فلانة - يقصد زوجه - أعطيه الذى كنت قد تجهزت به . ولا تحبسى عنه شيئا . فيارك الله فيه

ونحنا مع تعاليم المصطفى ﷺ . فى عدة المسلمين ورد الاعتداء عليهم فى كل مكان . فإن إنقاذ أفغانستان المسلم من جحافل الإلحاد . أصبح فرض عين على كل مسلم . فهيا يا جموع المسلمين لنصرة أفغانستان بالمال والنفس

إن هذه دعوة السماء . ودعوة كل حاكم مسلم يحتسب بتعاليم الله . ووصايا الرسول ﷺ

عباد الرحمن

حدثنا أدب التاريخ الواقى قال

سئل الجنيد - رضى الله عنه - عن عباد الرحمن . من هم ؟

فقال : هم الذين طاعة الله حلاويهم . والفقر كرامتهم . وبذل الدنيا لقاءهم . وذل الله مناجيهم . التقوى زادهم . ودمع الله غفرانهم . وعليه اعتمادهم . وبه أنسهم وعليه توكلهم . والخوف لطعامهم . وحسن الخلق لباسهم . والسخاء خزانهم . والعلم قائدهم . والصبر مالكهم . والهدى مركبهم . والقرآن حديثهم . والشكر زيتهم . والذكر همهم . والرضا راحتهم . والقناعة مالهم . والعبادة كسبهم . والحياء قيصهم . والخوف سجيتهم . والنار عزاهم . والليل فكرتهم . والحكمة سيفهم . والحق حارسهم . والحياة مرحلتهم . والموت منازلهم . والنظر إلى الله تعالى أمنيتهم

التيسير فى الدين

ظن أناس أنهم لا يبرءون من عهدة الطاعة إلا إذا بالغوا فى أدائها . وأوغلوا فيها . وشددوا على أنفسهم . فجاءوا يسألون عن عبادة النبى - ﷺ - فلما أخبروا بها عدوها قليلة . وظنوا أن الباعث على قلتها هو أن النبى مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

واعترف أحدهم أنه يقوم الصلاة من الليل أبدا لا ينقطع عن ذلك

وقال الثانى : إنه يصوم الدهر ولا يفطر .

وقال الثالث : إنه لا يتزوج أبدا . وهذا فى النساء . وبلغ مقالهم الرسول . فماذا قال ؟ .

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى يسألون عن عبادة النبى . فلما أخبروا كأنهم تقالوها . فقالوا : وأين نحن من النبى . قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا

فجاء ذلك النبى - ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه . وقال « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا . أما - والله - إنى لأخشاكم لله . وأتقاكم له . لكنى أصوم وأفطر . وأصلى وأرقد . وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى .

فقد أعلن الرسول أن هذه الطاعات المبالغ فيها ليست من الدين فى شىء . لأنها تخالف الفطرة . وتناقض الطبيعة . وأعلن - فى صراحة - أنه هو - ﷺ - يصوم ويفطر . فليس صومه دائم متواصل . وأنه يصلى فى الليل ويرقد . فليس قيامه الليل تستمر لا ينقطع . وأنه يتزوج فلا يعتزل النساء .

وليقرأ أمثال هؤلاء ممن يشددون على أنفسهم حديث الرسول الذى يرويه عنه أبو هريرة رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الدين يسر . ولن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه . ولكن سددوا . وقاربوا . وأبشروا . واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » - السير فى الليل - فهذا الدين يسر . سهل المنهل . لا عنت فيه ولا صعوبة ولا إرهاق . ولن يشاد الدين ولن يقاومه أحد مؤملا أن يستقصى غاياته إلا عجز هو وظله الدين . لأن الطاعة - مهما بلغت من الكثرة والاستقصاء - قليلة فى جنب الله .

ولذا ينصح الرسول بالسداد أى بالاتجاه إلى الصواب من غير إهمال ولا مبالغة . وبالمقاربة أى الاقتصاد فى العبادة والتوسط فيها بالوزن الاعتدال دون إفراط ولا تفريط . ويرغب الرسول البشرى بالثواب على كل طاعة مهما كانت قليلة . ويدعو الرسول الناس أن تكون عبادتهم على فترة وفى أوقات نشاطهم . حتى يقيموها على وجهها الصحيح . وتتفق هذا مع ذلك بالسائر الذى يريد أن يصل إلى غايته فى يسر وسهولة . فهو لا يسير ليله و نهاره مواصلا . ولكنه يتحين أوقات النشاط . يسير فى القدرة أول النهار . ويستريح وقت القيلولة ثم يستأنف السير فى الروحة أى ساعة الأصيل . وقد يسير بعضا من الليل . هذا هو السير الذى يؤدى معه الوصول إلى الغاية

وما أحرى القصد أن يختار لعبادته أوقات نشاطه . حتى يؤدى العبادة على وجهها الصحيح . وحتى يكون متيقظا لما يقصد منها . وحتى لا يعرض نفسه للملال والتعب . فيكون كما ورد فى حديث آخر - كالمنبت . أى الذى قطع نفسه ورواحله فى السير . لا يقطع أرضا ولا يبقى ظهرا . وليعلم أن « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »

د . محمد السعدى فرهود